Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن هذه الوسيلة سينحصر ـ أو انحصر ـ سبكها فى مستوى الجملة أو البيت، ما دمنا نتقيد بإيراد طرفى الطباق داخل هذا المستوى، وهذا ما حدث فى جل الأمثلة السابقة، وحين تجاوز هذا الطباق مستوى الجملة، حدث السبك بين جملتين، كما فى قوله تعالى: (تُؤْتِي الْمُلْكَ من تشاءُ، وتَنْزِعُ الْمُلْكَ ممّن تشاءُ، وتُعِزُّ من تشاءُ وتُذِلُّ من تشاء) هذا التجاوز هو المطلوب، والمطلوب ـ أيضاً ـ عدم التقيد بالتعاقب المباشر بين الجملة الوارد فيها الطرف الأول من طرفى الطباق، والجملة الثانية الوارد فيها الطرف الثانى. وهذا الطلب الأخير بغية توسيع المساحة التى يحدث فيها الطباق سبكاً، وبصيغة أوضح: من الجائز أن يرد الطباق بين كلمتين، تنتمى إحداهما إلى مقطع أو فقرة من النص، وتنتمى الثانية إلى مقطع أو فقرة أخرى. ومثل هذا الطباق الرابط بين طرفيه، يغدو مؤشراً سطحياً إلى وجود ترابط بين هاتين الفقرتين أو المقطعين.

ولعله مما قد يدعم هذا المطلب، أنه بعدم التعاقب لا نخسر بعداً جمالياً آخر فى الطباق، مثل البعد الصوتى الذى قد يقتضى إبرازه أو تجسيده الموالاة أو التعاقب بين طرفيه، كما هى الحال ـ مثلاً ـ فى الترديد والتعطف. ولعل عدم وجود مثل هذه الخسارة، هو ما حدا ببلاغى مثل ابن أبى الإصبع المصرى إلى اعتماد طباق ـ وإن كان طباق سلب ـ جاء أحد طرفيه فى أول البيت، والثانى فى آخره، وسماه (طباق الترديد)، حيث قال: «وطباق الترديد: وهو أن يرد آخر الكلام المطابق على أوله، فإن لم يكن الكلام مطابقاً، فهو رد الإعجاز على الصدور، ومثاله قول الأعشى:

لا يرقعُ النّاسُ ما أوْهُوا وإنْ جَهُدوا طولَ الحياة ولا يُوْهُونَ ما رَقَعُوا (٩٠)

ولعل مما قد يدعم هذا المطلب ـ أيضاً وهو الأهم والفيصل ـ هو القيام بعملية مسح دقيق وشامل لواقع استخدام الطباق فى النصوص اللغوية، والشعرية خاصة.

وثمة تنبيه مهم حين التعامل مع النص الشعرى، وهو تنبيه لا يختص بالطباق وحده. وإنما يشمل كل وسائل السبك المعجمى، وهو أنه ليس بالضرورة أن يستخدم الشاعر الكلمة بمعناها المعجمى، فقد ينحرف عن هذا المعنى، وربما يؤسس الشاعر نفسه ـ بخاصة المبدع ـ معنى الكلمة؛ ومن ثم يستلزم تحديد معنى الكلمة الوقوف على السياق المقالى والسياق المقامى للنص. وهذا الاستلزام يؤكد صحة منهج اللسانيات النصية فى اتخاذها النص كله وحدة للتحليل، واعتبار السياقين: المقالى والمقامى، فى هذا التحليل.

ومما يشهد لإدكائية خلق الشاعر لتطابق بين كلمتين، هما ـ فى الأصل ومن حيث المعنى المعجمى ـ غير متطابقتين، البيت التالى: